النار في القرآن الكريم
دراسة دلالية

أ.م.د.مجيد طارش عبد
كلية الآداب – جامعة واسط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، والرحمة والرضوان على أصحابه المنتجبين.

أما بعد . ان من المعلوم الثابت أن لكل لفظة في اللغة . عربية كانت أم غير عربية . دلالة على معنى ما ، وهذه الدلالة لها أثر في نفس السامع يتناسب طرداً مع قوة المعنى، ف كلما كان المعنى جَاداً كان تأثيره واضحاً، وتمتاز اللغة العربية بعدد كبير جداً من الألفاظ من هذا النوع، وإحدى هذه الألفاظ لفظة (النار) هذه الكلمة التي تلفح حرارتها روح السامع بمجرد طرقها لأذنه، وتجعله في حالة غيرَ متزنة وكأنه أمام نار حقيقية يحاول أن يتحا شاها لئلا يكتوي بها أو يحرقه لهيبها، وقد حظيت هذه اللفظة بعناية المتكلم العربي قديماً وحديثاً، ولعل أثرها فيه قديماً كان أكبر منه اَليوم وذلك بسبب الفارق الحضاري والعلمي بين الأمس واليوم، فمعنى (النار) الذي تدل عليه هذه اللفظة كان المتكلم العربي آنذاك يجهل الكثير عنها، فهو يجهل كيفية اشتعالها . من الوجهة الكيمياوية . كما كان يجهل كيفية انطفائها أو إطفائها من الوجهة ذاتها، ولعل ما كان يشغله منها هو حرارتها التي كانت أهم فوائدها الطهي، ثم الدفء والإنارة، وبمرور الأيام صارت النار عند الناس . ولاسيما العرب . محل اهتمام وعناية كبيرتين حتى وصل الأمر ببعض الشعوب إلى تقديس النار وعبادتها واتخاذ إله لها هو (البرق)[1] ، ولعل السر في هذا يكمن في انبهارهم بقدرتها على الإحراق والتهام كل ما يلقى فيها، ولا عذر لهؤلاء . طبعاً . ولكن لا عجب من فعلهم فعقولهم المحدودة وقفت عاجزة عن تفسير حقيقة النار كما عجزت عنه عقول أبناء اليوم الواسعة ، فمكونات الوجود المادي أربعة؛ عُلِم منها ثلاثة هي:

الهواء ، والماء ، والتراب ،وما زال الرابع . وهو النار. مجهولاً إلى يومنا هذا . على حد علمي . فالنار لم تصنف في واحد من أقسام المادة الثلاثة؛ فلا صلبة هي، ولا سائلة، ولا غازية، ولا هي مادة ملموسة، ولا هي غير ملموسة ،ولا ينكر أنها مادة لأن وجودها حقيقة ثابتة تحرق من يحاول إنكارها ؛ ولكن ما هي؟ الجواب هو (؟) أيضاً. ولئلا نتيه في المباحث الكيميائية أو الفيزيائية نرجع إلى مباحثنا اللغوية ،ونرجع إلى دلالات النار عند العرب قبل الإسلام، فقد كان العربي يستعمل النار استعمالين أحدهما حقيقي يستعملها فيه للطهي وللدفء وللإنارة ، والآخر رمزي؛ فيشعلها لا لواحد من الاستعمالات السابقة بل لغرض يريد أن يلتفت إليه ، أو يريد هو أن يحققه منها، و(نيران العرب هي: نار الاستمطار، ونار التحالف، ونار الأهمية للحرب ، ونار الطرد ، ونار الحرس ، ونار السعالى ، ونار الأسد ، ونار القرى ، ونار السليم ، ونار الفداء ، ونار الوسم)[٢] ، وقد حفلت أشعارهم بالنار ودلالاتها وأنواعها عندهم، والأشعار كثيرة [٣] نذكر منها على سبيل المثال قول السموأل:

فأُحصي مزايا سادة بشواهد ... قد اختارهم رحمانهم للدلائل
من النار والقربان والمحن التي ... لها استسلموا حبَّ العلى المتكامل[٤]

وقول زهير :

هم الخير البجيل لمن بغاهم ... وهم نار الغضا لمن اصطلاها[٥]

وكان العربي على علم وإدراك بأثر النار . من حيث حرارتها . لأنه عرفها وعرف أثرها المادي، فقد كان يستشعر أثر اللفظة وحرارة معناها لأنه كان (يعيش في صحراء قاحلة شديدة الحر قليلة الماء شحيحة الغذاء)(٦) فإذا ما سمع لفظة (النار) تطرق سمعه يلتهب خياله بحرارة بيئته فيعاني من تلك ما يعانيه من هذه .وبعد أن تطرقنا إلى النار مفهوماً عاماً وأشرنا إلى دلالتها ومعناها وأثرها في السامع العربي، وعرفنا شيئاً عن أثرها في حياته وذكرها في شعره اتضح لنا أن النار لفظة معلومة عند العرب، بعد هذا نحاول أن ندخل القرآن الكريم لنتعرف على النار ودلالتها فيه فنطرق أولاً بابها اللغوي،فالنار مشتقة من الجذر (نور) ، والنار معروفة أنثى ، وهي من الواو لأن تصغيرها (نويرة) . وقد تُذكّر . والجمع أَنْور ونيران، انقلبت الواو ياء

لكسرة ما قبلها، ونِيرة، ونُور، ونِيار، وقد تجمع على أنيار كما ورد في حديث شجر جهنم: (فتعلوهم نار الأنيار) الذي احتمل الزجاجي أن يكون معناه (نار النيران) _على فرض صحة روايته_ وذلك بجمع النار على أنيار ، وأصلها أنوار لأنها من الواو كما جاء في ريح وعيد أرياح وأعياد وهما من الواو(٧).

وقد كانت هذه اللفظة تدل على معنى النار المعروفة في الدنيا التي يستعملها الإنسان في بعض شؤون حياته، ولكن بعد نزول القرآن الكريم اكتسبت هذه اللفظة معنى يمكن أن نسميه (اصطلاحاً قرآنياً) وذلك عندما صارت (النار) مع (الجنة) جزاء لأعمال الإنسان يستقر في أحدهما يوم القيامة بعد الحساب، فصارت (النار هي الاسم العلم على مقر العذاب الذي أعده الله لمن أعرض عن عبادته وأشرك به، وقد وردت في القرآن الكريم صفات للنار مثل جهنم ، والجحيم ، والسعير، وسقر، ولظى ، والهاوية ، والحطمة ، والغاشية)[٨] وقد ذكر اللغويون فروقاً بين الألفاظ الدالة على النار كما جاء في الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في فصل عقده لها؛ نورد نصه فيما يأتي: (الفرق بين النار والسعير والجحيم والحريق : إن السعير هو النار الملتهبة الحراقة ، أعني أنها تسمى حريقاً في حال إحراقها للإحراق، يقال: في العود نار وفي الحجر نار ولا يقال: فيه سعير ، والحريق النار الملتهبة شيئاً، وإهلاكها له، ولهذا يقال: وقع الحريق في موضع كذا، ولا يقال: وقع السعير، فلا يقتضي قولك السعير ما يقتضيه الحريق، ولهذا يقال: فلان مسعر حرب كأنه يشعلها ويلهبها ولا يقال : محرق، والجحيم : نار على نار وجمر على جمر، وجاحمه : شدة تلهبه ، وجاحم العرب أشد موضع فيها، ويقال لعين الأسد : جحمة ، لشدة توقدها ، وأما جهنم ؛ فيفيد بعد القعر من قولك جهنام إذا كانت بعيدة القعر)[٩].

وقد وردت لفظة (النار) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة زادت على الخمسين بعد المئة ، وقد ذكر أصحاب الوجوه والنظائر في القرآن الكريم وجوهاً لاستعمالات النار في القرآن الكريم، أبرزها: الإحراق ، والنور، والمثل[١٠] ويستفاد من الوجوه المذكورة للنار أن القرآن الكريم قد استعمل النار بدلالتين رئيستين: إحداهما: الدلالة الحقيقية

على النار المحرقة فعلاً ، وعدّوا منها نار جهنم وجميع نيران الدنيا، والأخرى: الدلالة المجازية ؛أي أن النار ترد في القرآن ولا يراد بها حقيقتها المحرقة، بل رمزاً لمعنى آخر كالنور أو أن تكون مثلاً يضربه القرآن.

والحقيقة أن ما ذكر عن النار ودلالاتها وكثرة ورود لفظتها في القرآن الكريم دفعني إلى تتبع هذه اللفظة في الكتاب العزيز وإحصاء مواضعها والتعرف على المعنى المراد من ذكرها في كل موضع واستعمالها في هذا الموضع، وقد وجدت أن هذه اللفظة قد جاءت دالة على معانٍ عدة مستفادة من معناها الأصلي وهو الإحراق، أي أن لفظة النار في القرآن الكريم ترد ويراد منها الدلالة على الإحراق الحقيقي تارة، وتارة يراد منها الدلالة على معنى آخر يستدل عليه القرآن الكريم بها، أو يدل بها عليه ، وقد وجدت من خلال تتبع جميع مواضع ورود النار أن هذه اللفظة تدل على نارين لا نار واحدة ، لأولى منهما هي نار جهنم . أعاذنا الله من حرها . التي تكاد تطغى على النار الأخرى ، وذلك لما رسخ في ذهن القارئ للقرآن ونفسه من أثر مهول لنار الآخرة التي تعيش معه في ذهنه ، فالمسلم المتعبد بالقرآن لا يقوم بعمل إلا وتذكر جزاءه وخشي أن يكون فيه معصية للخالق فيدخل به النار، وحتى غير المتعبد بالقرآن . أعني من لا يخشى المعصية . وكان عارفاً بالمفردات القرآنية والسياقات الواردة فيها فإنه سيستشعر حر جهنم من الآيات القرآنية التي ذكرت النار لكثرتها من جهة ،ولبلاغتها من جهة أخرى . أعني بلاغتها في وصف هول النار وإلا فالقرآن كله بليغ . وتحت وطأة حرارة النار وشدة لهيبها وزفيرها ، وخوفاً من تغيظها وطلبها المزيد ، وارتعاداً للفرائص من الهوي بها وخوف الوقوع في الدرك الأسفل منها تنسى النار الثانية التي هي نار الدنيا المذكورة في القرآن الكريم في مواضع غير قليلة وفيها من عبرة القصص، وحكمة الأمثال، وفائدة الانتفاع مالا يمكن تجاهله؛ لذا سأورد معاني هذه اللفظة القرآنية بحسب دلالتيها الرئيستين على نار الدنيا ونار الآخرة.

النار في الدنيا

قال تعالى : ((وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه))[١١] فهذا نص قرآني من نصوص كثيرة تشير إلى منافع كثيرة سخرها الباري جل وعلا لعباده الذين استخلفهم في الأرض، ومن هذا الكثير (النار) التي خلقها الله سبحانه لينتفع بها بني البشر، وجعل عملية إشعالها يسيرة له كي يستفيد منها، كما يسر له سبيل إشعالها، وجعل الناس جميعاً مشتركين فيها، فقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن الناس شركاء في ثلاثة: الماء ، والكلأ ، والنار، أي ليس لصاحب النار أن يمنع من أراد أن يستضيء منها أو يقتبس ، وقيل: أراد بالنار الحجارة التي توري النار، أي لا يمنع أحد أن يأخذ منها[١٢].

إذن ؛ هنالك نار مخصوصة بأهل الدنيا عرفها الله تعالى للناس وهداهم إلى سبيل إشعالها وإطفائها كما هداهم إلى كيفية الانتفاع منها، ثم جعلهم شركاء متساوين في الحق فيها، وفي هذا القسم من البحث سأعرض مجموعة من الآيات المباركة التي وردت فيها لفظة (النار) دالة على النار في الدنيا محاولا تلمس المعاني الدالة عليها هذه اللفظة (غير معناها الوضعي) ونظراً لكثرة الآيات الواردة فيها لفظة (النار) الدالة عَلى نار الدنيا ،وتنوع معانيها سأورد هذه الآيات في مجموعات ، وكل مجموعة أدرجها تحت عنوان عام لدلالتها الخاصة ؛ كما يأتي :

١- الإحراق : والمقصود هنا أن لفظة (النار) وردت بدلالتها الحقيقية على ماهيتها، أي أن النار الواردة في هذه الآيات أريد منها معنى الإحراق ، والأمثلة الآتية توضح المقصد:

. قوله تعالى((أيود أحدكم أن يكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)) البقرة/٢٦٦.

فمن الواضح أن النار التي في هذا الإعصار قد دلت على معناها الأصلي وهو الإحراق، وهذه النار لا يراد بها نار الآخرة ، بل النار المعروفة المحرقة في الدنيا.

ـ قوله تعالى: ((قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين)) الأنبياء/٦٧-٧٠.

وهنا تدل لفظة (نار) على النار التي أضرمها قوم إبراهيم (ع) في كم كبير من الحطب ظلوا يجمعونه طويلاً ، فلما جمعوا الحطب وأحرقوه رموا به نبينا إبراهيم عليه السلام ليحرقوه بها ؛ فكانت المشيئة الإلهية حائلاً بين إبراهيم(عليه السلام) وبين قوة الإحراق الكامنة في النار بأن أحدث الله تعالى فيها برداً ، أو أنه جل وعلا منعها من الوصول إليه ،أو أن جبرائيل(عليه السلام) جاء إبراهيم (عليه السلام) بقميص من الجنة اتقى به النار[١٣] ودلالة النار هنا جاءت على الإحراق الذي تقوم به نار الدنيا، لكنها لم تقم ـ واقعاً ـ بما دلت عليه ، أي إنها دلت على النار المحرقة من حيث قوتها الكامنة فيها على الإحراق، لكنها لم تحرق نبي الله إبراهيم(عليه السلام) بسبب مخالفة المشيئة الإلهية لما في النار من قدرة إحراق، كما جاء ذلك في الآية وتفسيرها:((قلنا يا نار) خطاب تكويني للنار التي أوقدوها لحرقه(كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) فتبدلت حرارتها وإفناؤها برداً وسلاماً عليه، وليس للنار ولغيرها من أثر إلا ما أراده الله)[١٤].

ـ قوله تعالى : ((قُتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنينَ شهود)) البروج /٤-٧.

فهذا النص القرآني المبارك يذكر قصة أصحاب الأخدود المعروفة[١٥]، وما يعنينا منها هو النار التي أضرمت في الأخدود لإحراقهم، وهذه النار من نار الدنيا المحرقة المدلول عليها بكثير من الآيات وواحدة منها هذه المجموعة من الآيات التي ملخص تفسيرها: لعن أصحاب الأخدود بتحريقهم الناس في الدنيا قبل الآخرة ، وأصحاب الأخدود هم الكافرون الذين حفروا الأخدود وعذبوا المؤمنين بالنار[١٦] وهذه النار عظيمة في حجمها كسابقتها التي أضرمت لحرق نبي الله إبراهيم (عليه السلام) بدليل وصفها بـ (ذات الوقود) المراد به (إشارة إلى كثرة حطب هذه النار وتعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود)[١٧].

٢- الإفادة : والمقصود هنا أن لفظة (النار) ترد ويراد بها استعمال النار في منافع للناس في الدنيا كالطهي والتدفئة والإنارة وغيرها من الفوائد المستعملة فيها النار، ومن أمثلتها:

- قوله تعالى : ((آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً)) الكهف/٩٦.

وفي هذه الآية وردت النار مرتين وكلاهما في الدنيا وكلاهما استفيد منه، فهذه الآية وردت في سياق عرض القرآن الكريم لقصة ذي القرنين الذي طلب منه أن يبني سداً حاجزاً فقال: ((آتوني زبر الحديد) قطعه على قدر الحجارة التي يبنى بها (حتى إذا ساوى بين الصدفين) بين جانبي الجبلين . بنضد الزبر. جعل الفحم بينهما (قال انفخوا) بالمنافخ في النار في الحديد، فنفخوا (حتى إذا جعله) الحديد (ناراً) كالنار (قال آتوني أفرغ عليه قطراً) نحاساً مذاباً)[١٨] والنار الأولى هنا هي نار الحدادين التي يؤججونها بمنافخهم الخاصة بعملهم ليستفيدوا منها في صهر الحديد، والثانية هي النار التي صار إليها الحديد من النار الأولى وهي أيضا يستفاد منها في صهر قطع الحديد التي جمعت كي تسد الثغرات فيما بينها فتبرد على شكل صلد متماسك زيادة في متانة وصلابة السد المصنوع.

. قوله تعالى : ((الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)) النور/٣٥.

فهذه الآية المباركة . وإن وردت مثلاً لنور رب العزة والجلالة . جاءت فيها لفظة (نار) دالة على النار المتعارف عند أهل الدنيا استعمالها لإضاءة المصباح أو السراج أو القنديل، لأن المشبَّه به _ وهو المصباح _ مما يستعمله الناس ، ويستعملون النار لإضاءته في الدنيا، وهي واحدة من إفاداتهم من النار.

. قوله تعالى : ((وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهلَه امكثوا إني أنستَ ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى)) طه/ ٩-١٠ .

. وقوله تعالى : ((فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي أتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون)) القصص/٢٩.

ـ وقوله تعالى: ((إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين)) النمل/٧.

فهذه الآيات المباركة وردت في سياق قصة النبي موسى (عليه السلام) وفيها رأى (عليه السلام) ناراً ، فـ (لما رأى موسى النار وقف قريباً منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار إلا اشتعالاً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسناً، فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجرة ولا الشجرة برطوبتها تطفئ النار)[١٩] وبحسب الدلالة الظاهرة لهذه اللفظة هنا ، وبحسب ما رأت عين موسى(عليه السلام) تعد هذه النار من نار الدنيا بدليل قوله (عليه السلام) لأهله ((لعلي آتيكم منها بقبس) أي بشعلة أقتبسها من معظم النار تصطلون بها)[٢٠] وكذا قوله (عليه السلام): ((أو آتيكم بشهاب قبس) أي شعلة متناولة من النار (لعلكم تصطلون) بها وتستدفئون)[٢١] وكذا قوله(عليه السلام): (لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة) الدال على ما دل عليه سابق أقواله(عليه السلام) [٢٢] والخلاصة هنا أن النار التي رآها نبي الله موسى(عليه السلام) تعامل معها على أنها نار من نار الدنيا فأراد أن يقتبس منها جذوة ليطهو أهله الطعام بها ويستدفئون وتنير لهم المكان.

٣- أصل الخلق: إن من سنن المخلوقات الحية . ولا سيما العاقلة منها . أصلاً خُلق أوَّلها منه ، ومعلوم أن الله تعالى خلق الإنسان من أصل هو التراب ، وخلق الجَان من أصل آخر وهو النار، وهنا وردت النار أصلاً لخلق عاش في الدنيا ولذا أدرجت

هذه النار ضمن هذا المبحث لأنها لا تتناسب مع نار الآخرة التي هي جهنم التي يعذّب بها، وأمثلتها هنا:

. قوله تعالى : ((قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)) الأعراف/١٢.

فهذه المجادلة الملعونة من المعلون إبليس ورد فيها أصل خلق كلّ منه ومن آدم (عليه السلام) فآدم سلام الله عليه خلقه الله تعالى من طين، وخلق إبليس من نار، وقد لعن إبليس لأنه جادل خالقه وعصى أمره بقياس خاطئ أورثه اللعن والرجم لـ(أنه ظن أن النار إذا كانت أشرف من الطين لم يجز أن يسجد الأشرف للأدون ، وهذا خطأ لأن ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد، وقد قيل أيضاً إن الطين خير من النار لأنه أكثر منافع للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق وفيها معايشهم ومنها يخرج أنواع أرزاقهم، والخيرية إنما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لأن الثواب لا يكون إلا للمكلف المأمور دون الجماد)[٢٣].

. قوله تعالى: ((ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجانَّ خلقناه من قبل من نار السموم)) الحجر/٢٦-٢٧.

فهذا النص المبارك يوضح أصل خلق الجانّ وهو (النار) وحُدِّدت هنا بوصفها أنها (نار السموم) وهي: (نار الريح الحارة النافذة في المسام، أو نَار لا دخان لها)[٢٤] وهذه النار عُرِفت في موضع آخر وذلك في:

ـ قولَه تعالى : ((خلق الإنسان من صلصال كالفخَّار وخلق الجانَّ من مارج من نار)) الرحمن/١٤-١٥.

فالمقصود بـ (مارج من نار) : أي من نار مختلط أحمر وأسود وأبيض[٢٥] وقيل: المارج: الصافي من لهب النار الخالص الذي لا دخان فيه[٢٦].

٤- القدرة الإلهية : وهنا تذكر النار في السياق القرآني ويراد منها الدلالة على قدرة الله عز وجل على خلق شيء لا يقوى على إيجاده البشر، بل أعجزهم به لأنهم رأوا ما فيه من طاقة ، وجهلوا سره ، وعجزوا عن رد فعله ، وكفه عنهم ، وهذا الشيء

ا لمظهر للقدرة الإلهية بخلقها إياه والمعجز للبشر هو (النار) وهذه النار هي نار الدنيا، أما الآخرة فنارها لا تعجز عن الإتيان بمثلها ؛ بل تعجز عن الإتيان بوصفها، وأمثلة هذا النوع من النار في الدنيا نوردها فيما يأتي:

. قوله تعالى: ((أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين فسبح باسم ربك العظيم)) الواقعة/٧١-٧٤.

فهذه النار هي النار التي نستعملها في حياتنا لمنافعنا الخاصة و العامة، وهي التي أوردها القرآن الكريم إظهاراً لقدرته على خلق مثل هذا الخلق العظيم وهو النار بفائدتها العظيمة للبشر ، وبعجيب خروجها من الشجر الذي أنشأه الله تعالى أيضاً، وتعظيم هذه القدرة في النفوس إذا ما علم أن هذه النار قد جعلها الله تعالى((تذكرة) لنار جهنم، أو تبصرة في البعث. . . (ومتاعاً) منفعة (للمقوين): لنازلي القواء، وهو الفقر، أو للخالية بطونهم أو مزاودهم من الطعام)[٢٧]، بل ويزداد العجب عجباً ، والقدرة قدرة ، والإظهار إظهاراً عندما نتعرف على تناقض . ظاهر بحسب عقولنا . في شأن إخراج النار، وذلك في :

ـ قوله تعالى: ((الذي خلق لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون)) يس/٨٠.

فالله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء بأدلة كثيرة منها هذه الآية المباركة التي تبين أنه سبحانه وتعالى هو الذي (جعل لكم من الشجر الرطب المطفئ للنار ناراً محرقة؛ يعني بذلك المرخ والعفار ، وهما شجرتان تتخذ العرب زنودها منهما ، فبين سبحانه أن من قدر على أن يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض فتخرج منه النار وينقدح ، قدر أيضاً على الإعادة)[٢٨] المستفهم عنها من جهلها وأنكرها في الآيات السابقة لهذه الآية، وبهذا يتضح جلياً كيفية إيراد القرآن الكريم للنار دالاً على القدرة الإلهية.

ـ قوله تعالى: ((يا معشر الجن والإنس إن استطعتم إن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان فبأي آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان)) الرحمن/ ٣٣-٣٦.

وهذه الآيات المباركات مظهرات للقدرة الإلهية، وفيها أيضاً نجد النار واردة للدلالة على هذه القدرة، فمحصَّل معنى هذا النص الشريف خطاب فيه تحدّ لمعشر الجن والأنس لقدرتهم . العاجزة . على النفاذ من أقطار السموات والأرض ألتي لا ينفذون منها إلا بسلطان ؛ وهو القوة التي سلط بها على الأمر ثم الملك، والقدرة، والحجة، فإذا ما حاول معشر الجن والأنس الخروج والنفاذ من جوانب السموات والأرض يرسل عليهما(شواظ من نار) وهو اللهب الأخضر المنقطع من النار و(نحاس)وهو الصفر المذاب للعذاب (فلا تنتصران) أي فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما، فإن عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار[٢٩].

٥- الرمز: ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات المباركة استعملت فيها النار رمزاً فكرياً أو ضمنت في سياق مثلٍ أو تبيين عقيدة تمثل النار فيه محوره، ومن أمثلة هذا:

ـ قوله تعالى: ((أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون)) البقرة/١٦-١٨.

ففي هذا النص القرآني مثل واضح وجليٌّ (للإيمان الذي أظهروه لاجتناء ثمراته بنار ساطعة الأنوار موقدة للارتفاع والاستبصار ولذهاب أثره وانغماس نوره بإهلاكهم وإفشاء حالهم بإطفاء الله تعالى إياها و إذهاب نورها)[٣٠] فهؤلاء المنافقون الذين يظهرون من الإيمان ما لا يبطنونه حقاً قد ضرب الله مثلاً لحالهم بحال من أشعل ناراً حوله كي يستفيد من ضوئها ودفئها بيد أنها لم تنفعه (وقد مثلهم الله بالمستوقد للنار الذي لم يستفد بسنائها، وبقي متخبطاً في متاهات الضلال ودياجير العمى حتى انطمست عليه طرق الهدى وسبل الرشاد)[٣١] وبهذا يتضح أن هذه النار المذكورة في

سياق هذا المثل جاءت في الدنيا واستعملت رمزاً فكرياً بتمثيل حال المنافقين بحال مستوقدها للإفادة ، ولكن بلا فائدة.

. قوله تعالى: ((واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)) آل عمران/١٠٣.

وهذه الآية المباركة أمر من الله تعالى بالاعتصام بـ (حبل الله) وعدم التفرق عنه وما هذا الحبل حبلاً حقيقة ، بل هو رمز فكري لكل معتقد أوجب الله الالتزام به فهو . أي الحبل . يمثل الإسلام وما يمثل فكر الإسلام من قرآنٍ ، ونبيٍ ، وإمامٍ ، وبمقابل هذا الرمز الفكري ورد رمز فكري آخر رمز به القرآن الكريم إلى المصير الذي كان ينتظر الناس قبل أن يؤمنوا بالله وبالإسلام، وهذا هو قوله تعالى(وكنتم على شفا حفرة من النار) (أي: وكنتم يا أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على طرف حفرة من جهنم لم يكن بينها وبينكم إلا الموت فأنقذكم الله منها بأن أرسل إليكم رسولاً ، وهداكم للإيمان ، ودعاكم إليه فنجوتم بإجابته من النار)[٣٢] فالنار الواردة في الآية المباركة . وإن فُسرت بأنها جهنم . ليست جهنم الحقيقية بل رمز لها، لأن جهنم تكون في الآخرة وإنما حالهم كان في الدنيا، كما ينبه إلى ذلك ما ورد في التفاسير من شرح لتكملة الآية ((فأنقذكم منها) فقد أنقذكم من فساد مجتمعكم ونار الحروب والمنازعات التي يسيرها الهوى والتحكمات الفردية المذلة ، وهذا ما يؤدي إلى الفناء والزوال والقتال والنزال)[٣٣] المؤدي إلى السقوط في حفرة من النار المشار بها إلى نار الآخرة.

. قوله تعالى: ((كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)) المائدة/٦٤.

وهذه النار الموقدة هنا هي . أيضا . واحدة من نيران العرب المذكورة في بادئ هذا البحث وهي (نار الحرب) وعلى الرغم من أن العرب كانت تشعل ناراً حقيقية للحرب، تبقى هذه النار رمزاً فكرياً، لأنها لا يراد بها أن تحرق لهم شيئاً ، ولا قد يطهون بها أو يستدفئون أو يستنيرون ؛ بل يراد منها الإشارة إلى اندلاع الحرب وإعلان ذلك

وإعلام الناس به، ويبدو أن قوله تعالى (أطفأها الله) دليل على ما سبق ؛ فالله سبحانه وتعالى لا يطفئ النار الحقيقية، بل يطفئ النية للحرب والفكرة بالقيام بها، أي أنه سبحانه وتعالى لا يطفئ النار بل يطفئ ما ترمز إليه هذه النار.

. قوله تعالى: ((الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسَول حتى يأتينا بقربان تأكله النار)) آل عمران/١٨٣.

وهذه نار أخرى جاءت رمزاً فكرياً لعقيدة كان يؤمن بها الناس في العصور القديمة، فمثلماَ ذكرنا في بداية حديثنا عن النار أن الناس كانوا يعظمون أمرها إلى حد وصلٍ بهم إلى تقديسها وعبادتها نجد مصداق ذلك في هذه الآية الكريمة التي نزلت رداً على مجموعة من اليهود ادعت أن الله عهد إليهم أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار[٣٤] وقد كان أكل النار للقربان عندهم (بياناً لعلاقة التقبل فإنه كان علامة قبول قربانهم أن تنزل النار من السماء فتأكله وكان يكون ذلك دلالة علىٍ صدق المقرِب فيما ادعاه)[٣٥] وسواء أكان تقبل القربان بهذه الطريقة حقيقة أم ادعاء من هؤلاء ، وإن كان حقيقة فسواء تقبل بنار محرقة فعلاً َأم بنار أخرى، فعلى كل الأحوال ما هذه النار إلا رمز لهذا المعتقد الفكري في تقبل القربان ممن كان صادقاً في دعواه.

النار في الآخرة

بعد أن استقرأنا دلالات لفظة (النار) في الجانب الآخر الذي لم يحظ بمثل الاهتمام الذي حظي به هذا الجانب الذي ننتقل الآن إليه ، هذا الجانب الذي يمثل الدلالة الأشهر للفظة (النار) فهذه اللفظة مقترنة بنار الآخرة وما في جهنم من عذاب، وهي أيضاً قد سلّط الضوء على دلالتها المحورية ؛ وهي الدلالة على العقاب بالعذاب والتعذيب بحرِها اللهاب ، وكونها مقراً لمن عصى الرحمن، أما الجوانب الأخرى لهذه الدلالة فتكاد تنصهر في لظى الدلالة المحورية، وفي هذا الجزء من البحث ندعو اللهَ جل وعلا أن يقينا حر النار . في الدنيا والآخرة . وييسر لنا التعرف على دلالات هذه اللفظة في الآخرة.

ونبتدئ هنا بقول الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم):(إن شدة الحر من فيح جهنم)[٣٦] هذا الحديث الشريف يمكن أن نعده الرابطة بين (نار الدنيا) و(نار الآخرة) من حيث حقيقة النار ودلالتها، فإن نار الدنيا ما هي إلا مخفف من نار الآخرة ، فعنِ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم لكل جزء منها حرها)[٣٧] فإذا ما قارنا بين الناريين لا نكاد نصل إلى مستوى إدراكي لهذا الفرق ، فنار الدنيا يقشعر البدن من رؤيتها، وتذوب الروح من سماعها، وتجزع النفس منها، فكيف بنار أشد من هذه بما لا يستوعبه العقل ولا تطيقه الأفكار؟ وما أعظم وأصدق كلمة أعرف الناس بها بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . أعني قسيمها علياً بن أبي طالب (سلام الله عليه) . الذي يصور لنا هذا المعنى من هول النارَ إزاء قدرة تحمل الإنسان للألم فقد قال (عليه السلام): (أفرأيتم جزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه؟ فكيف إذا كان بين طابقين من نار ضجيعِ حجر، وقرين شيطان! أعلمتم أن مالكاً إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه ، وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجرته)[٣٨] هذه هي النار التي يذكرها عليه السلام في موضع آخر بقولة (للنار كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف هائل)[٣٩].

وندخل الآن في دلالات لفظة (النار) التي أفادتها وهي دالة على نار الآخرة، ولما كانت هذه الدلالات كثيرة ومتنوعة قسمناها مجاميع لتسهيل تتبعها ، وهذه المجاميع يشير كل منها إلى دلالة من دلالات هذه اللفظة التي هي : وظائف النار ، وصفاتها ، وخواصها ، وأخيراً آثارها ، ونذكرها فيما يأتي مع دلالاتها الفرعية:

١- **وظائف النار:** والمقصود هنا هو الإشارة إلى عمل النار في ما يلقى فيها أو من يلقى فيها، ويمكن أن نعدد دلالات النار على وظائفها بما يأتي:

أ_ **الاتقاد: فالنار** تقوم بوظيفة عامة وهي (الإحراق) ولكنها أولا تقوم باستعمال وقودها الخاص الذي لا بد لها منه لتتقد به حتى تحرق، فالوقود (مقدمة) يليها الاتقاد (المقدمة الثانية) حتى تصل النار إلى حالة الاحتراق والقدرة على الإحراق ، وهذا ما

ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى : ((فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) البقرة/٢٤،الذي نزل (بعد تصعيد التحدي وإثبات عدم القدرة على مجابهته فقد حذر الله عباده بوجوب اتقاء النار حيث يكون الإنسان فيها وقوداً وموقوداً عليه، فهو معذب بنار توقد نفسه ، وأما الحجارة فهي الأصنام التي كانوا يعبدونها وقد أعدت للكافرين بها، فهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم)[٤٠] إذن ؛ الوظيفة الأولى لنار جهنم هي إيقاد الكافرين والاتقاد بهم هم وأحد جارهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ؛ فهم وما يعبدون وقودها الذي تتقد به وتوقد عليهم به ، لذا حذر الباري جل وعلا عباده المؤمنين من أن تباشرهم النار بهذه الوظيفة، فقال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحَجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)) التحريم/٦، وهي ((نار الله الموقدة)) التي سيأتي ذكرها ضمن الوظيفة الآتية:

ب_ **التحطيم: هذه الوظيفة** نجدها مشاراً إليها في قوله تعالى: ((كلا لينبذن في الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم موصدة في عمد ممدة))الهمزة/ ٤-٩ ، فهذه الحطمة هي اسم لنار الآخرة (وهي اسم من أسماء جهنم. . .وهي تحطم العظام وتأكل اللحوم حتى تهجم على القلوب)[٤١] وهي ((نار الله الموقدة) أي: المؤججة ، أضافها سبحانه إلى نفسه ليعلم أنها ليست كسائر النيران ثم وصفها على الإيقاد على الدوام (التي تطلع على الأفئدة) أي تشرف على القلوب فيبلغها ألمها وحريقها، وقيل إن هذه النار تخرج من الباطن إلى الظاهر بخلاف نيران الدنيا)[٤٢] وهذه هي الوظيفة الثانية من وظائف النار ، فبعد الاتقاد وإيقاد من يلقى فيها من الكافرين تحطم عظامهم وتهشمها ثم تخترق أجوافهم بعد أن تأكل لحومهم فتنفذ في أفئدتهم، ولعلها تعيد رحلتها في أجساد هؤلاء عكساً إذا ما أخذنا بما قيل في معنى (تطلع على الأفئدة).

جـ_ **الصلي: والصلي** واحدة من وظائف نار الآخرة التي ذكرت في مواضع من القرآن أبرزها قوله تعالى((سيصلى ناراً ذات لهب)) المسد/٣،وهذا هو مصير أبي

لهب وجه شرك قريش المعروف ؛ فإنه سيصطلي بالنار التي تقوم بوظيفة الصلي به ويغيره من وجوه الكفر المذكورين في قوله تعالى ((وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية)) الغاشية/٢-٥ ، والنار تصلي هؤلاء وأمثالهم بلهبها ، وتبقى حامية كي تباشر الصلي مرة أخرى ، ولكن لا بمباشرتها لأجساد هؤلاء بل بإحمائها لما كانوا يكنزون من حقوق الناس ويمنعونها عنهم ؛ وهم مانعي الزكاة المذكورين في قوله تعالى: ((والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)) التوبة/٣٥ ، ودلالة الصلي غير المباشر هنا مستفادة من عملية إحماء الذهب والفضة يوم القيامة وذلك يوم((يحمى عليها) أي يوقد عليها (في نار جهنم) حتى تصير ناراً (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم)[٤٣].

د_ **التعذيب: وهو الوظيفة** الأشهر ، والأكبر لنار الآخرة ، والأكثر ذكراً في الآيات الكريمة التي لا تحتاج إلى تفصيل ، فتكتفي بذكر أمثلة قرآنية مجملة لها ، ومن هذه الأمثلة:

ـ قوله تعالى: ((ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)) سبأ/٤٢ ، فالنار لها عذابها الخاص الذي تقوم به ، والذي دل عليه بـ(الفتن) في قوله تعالى: ((يوم هم على النار يفتنون)) الذاريات /١٣ ، أي (يعذبون فيها ويحرقون بالنار)[٤٤]،وهذا العذاب شديد أليم لا يخفف منه شيء ، ولا ينتهي أبداً كما ورد في قوله تعالى: ((والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها)) فاطر/٣٦.

٢- صفات النار: قد علم مما تقدم أن نار الآخرة . وإن كانت هي ذات النار التي نعرفها في الدنيا من حيث حقيقتها . تمتاز بمزايا وصفات تنفرد بها عن نار الدنيا، وصفات نار الآخرة كثيرة نذكر أهمها فيما يأتي:

أ_ **المستويات (الطبقات)**: فإن من العدل الإلهي أن يجزى كل امرئ بجزاء يساوي عمله تماماً، ولما كان الناس يوم القيامة يتوزعون على مقرين هما : الجنة ، والنار ؛ استلزم العدل في توزيع كل فئة في مكانها أن يكون لكل من الجنة والنار مستويات بحسب استحقاقات الناس، وهذا ما صرحت به الآية المباركة: ((إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)) النساء/١٤٥،والدرك الأسفل واحد من طبقات النار (أي في الطبق الأسفل من النار، فإن للنار طبقات ودركات كما أن للجنة درجات ، فيكون المنافق على أسفل طبقة منها لقبح عمله)[٤٥].

ب_ **الإحاطة:** قال تعالى: ((إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً)) الكهف/ ٢٩، وهذه صفة أخرى من صفات النار وهي الإحاطة بمن فيها وإحكام السيطرة عليه، وهو قوله جل شأنه (ناراً أحاط بهم سرادقها): أي (فسطاطها ؛ شبه به النار المحيطة بهم ، أو دخانها ولهبها ، أو حائط من نار)[٤٦] وهذا يعني أن النار تحيط بهم من جميع الجهات وهذه هي صفة من صفاتها، ولانعدم هذه الصفة مستفادة من قوله تعالى ((إنها عليهم موصدة)) الهمزة/٨ . أي النار- (مطبقة لا مخرج لهم منها)[٤٧] لأنها محيطة بهم من كل جانب.

جـ_ **اللبس** : وهذه من عظائم صفات النار فإنها تكون للكافرين لباساً يلبسونه ، وهذا ما ورد في قوله تعالى : ((فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود)) الحج/٢٠،(قال ابن عباس: حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار، وقيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار وهي أشد ما تكون حراً . عن سعيد بن جبير-)[٤٨] وهذه الصفة المميزة الأخرى للنار تعد تكميلاً للصفة السابقة، إذ يمكن القول إن النار تحيط بهؤلاء المعذبين بها وتشملهم عموماً، فتكون محيطة بهم إحاطة عامة، ثم تشملهم عن قرب ،وتشتمل عليهم ، فتحيط بهم إحاطة خاصة عن قرب وتماس مع أبدانهم فتكون ثياباً لهم.

د_**الأكل:** ومعاذ الله من هول النار، فهي لا تكتفي بالإحاطة بمن يلقى فيها من أصناف مستحقيها ؛ بل تكون ثياباً لبعضهم يلبسونها، ثم تخترق مجالات الإحاطة بهم لتنفذ إلى أجواف صنف من الظالمين فتكون طعاماً لهم يأكلونه ، وياله من طعام هذا ! إنها الصفة الرابعة مما استدللنا عليه من صفات النار ، وهي: الأكل ؛ أي أنها مأكولة ، وهذا ما جاء صريحاً في قوله تعالى: ((إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) النساء/١٠، وهذا (دليل على تجسم الأعمال ، فما أكلوه من مال ظلماً سيأكلونه في جهنم وسيكون ناراً في بطونهم)[٤٩] ولعلنا نلمح من هذا التفسير صفة ثانوية للنار نذكرها على هامش صفاتها الأساسية وهي (التحول) فالنار تكون ناراً بأصلها كما هو معروف، وأحياناً تكون متحولة عن عمل حرام كما هو مذكور هنا.

٣- خواص النار: وهي صفات أيضاً للنار لكنها صفات خاصة أفردتها في عنوان مستقل لأنها تمثل صفات خاصة بذات النار وكأنها صفات يستدل عليها من داخل النار ومن ذاتها، في حين كانت الصفات السابقة من خارج النار، وتلك الصفات كانت مضافة على النار، أما هذه الصفات فنابعة منها ، ونذكرها الآن ليتضح المقصد:

أ_ **الاختراق** : قال تعالى: ((لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولاهم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولاهم ينظرون)) النساء/٣٩-٤٠ ، فهذا النص القرآني المبارك واضح في دلالته على أن لفظة (النار) تدل فيه على واحدة من خواصها وهي (الاختراق) والنفاذ في كل ما يواجهها من وجوه الكافرين أو ظهورهم، بل تباغتهم بسرعة وشدة لا يكون لهم معها ردها لأن لا مهلة لهم من العذاب بهذه النار المحرقة المخترقة، وهذا عينه ما وجدناه في وصف النار بـ(الحطمة) التي هي ((نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)) الهمزة/٦-٧ ، وهي التي تحطم ما يواجهها من عظام ولحوم وتخترقها حتى تصل الى القلوب.

ب_ **التكلم:** ورد في بعض الآيات المباركات ما يصرح بأن جهنم (وهي نار الآخرة) تنطق يوم القيامة: وهذا ما ورد في قوله تعالى: ((يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد)) ق/٣٠ ، فإن من وجوه تفسير قول جهنم: (أنه سبحانه يخلق لجهنم آلة الكلام فتتكلم وهذا غير منكر لأن من أنطق الأيدي والجوارح والجلود قادر على أن ينطق جهنم)([٥٠]) وعلى هذا تكون خاصية التكلم من خواص النار في الآخرة ؛ هذه الخاصية التي نلمحها في قوله تعالى: ((كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر وتولى وجمع فأوعى)) المعارج/١٥-١٨، فإن ((لظى) علم للنار. . .(تدعوا) مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم . . . وقيل: تقول لهم: إليَّ يا كافر إليَّ يا منافق : تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح، ثم تلتقطهم التقاط الحب)[٥١] وإذا ما جمعنا الآيتين مع ما قيل فيهما مما ارتضاه المفسرون ولم ينكروه فلعلنا لا نجانب الصواب إذا ما قلنا بحقيقة تكلم النار في الآخرة إظهاراً لقدرة الله تعالى على إنطاق الجمادات غير العاقلة . في نظرنا . وإظهاراً لخاصية مهمة من خواص النار في الآخرة كي يتحقق الغرض منها وهو (الترهيب) الذي يعظم في نفوس الناس إذ ما علموا أنها سوف لا تسكت عنهم ؛ بل تدعوهم ، ولا تشبع مما يلقى فيها ؛ مصرحة بذلك بكلام مسموعٍ معقول مفهوم ، وهذا ما يستدل به على خاصية هامشية لهذه الخاصية وهي (الشره) وعدم الشبع بطلبها المزيد . والله العالم ..

جـ_ **الغضب:** فالنار إذا ما كانت متكلمة ناطقة تدعو إليها مستحقيها لا يبعد أن تكون عاقلة مميزة لأعمال هؤلاء وجرائمهم ومعاصيهم ؛ فتتحرق بحرارتها عليهم، وتستعر غيظا على أفعالهم ، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ((وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ. . .) الملك/ ٦-٨ ، فلله نحن مساكيناً أعمت الدنيا عيوننا، وحجزت قلوبنا عن إدراك نار . أعدت للعصاة منا . مثل هذه النار التي لم تكتف بما فيها من عظيم قدرة على الإحراق ، والاختراق ، والتحطيم ، والتهشيم، بل هي أيضاً غاضبة على العصاة تفور غضباً عليهم تكاد تتميز منه وتتقطع وتشهق شهيقاً كصوت الحمار[٥٢] فهي التي

((إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً)) الفرقان/١٢، فمرة تشهق ، ومرة تزفر غضباً على من ألقي فيها وعلى من سيلقى، ولعلي لا أتجاوز حدودي في فهم القرآن الكريم ودلالات النار فيه إذا ما قلت إنها تشهق بمن يلقى فيها لتسحبهم إليها وتأكلهم بحريقها ، فالشهيق هو سحب النفس إلى داخل الجوف .كما هو معروف . أما من هو خارج عنها فإنها تزفر عليه إذا ما رأته من مكان بعيد ؛ وكأنها ترعبه وتخيفه ، فالزفير هو إخراج النفس بعيداً من الجوف إلى الخارج ، كما لا يبعد أن نقول إن شهيقها وزفيرها هو لهيبها الذي يطال من فيها ومن هو خارج عنها ممن سيلقى فيها من مستحقيها.

٤- آثار النار: والمقصود هنا ليس آثر النار في من أحترق بها أو سيحترق من حيث نارها وحرارتها ، بل المقصود هو الآثار العرضية . إن صح التعبير . للنار سواء في من هو بداخلها يتعذب أو في من يراها وسيدخل فيها، ولا يمكن . بطبيعة الحال . الوقوف على كل آثار النار وما تتركه في الأبدان أو النفوس، لأن نار الدنيا آثرها ما أعظمه ؛ فكيف بنار الآخرة التي رأينا ما رأينا فيها من صفات وخواص، ولكن سنحاول فيما يأتي حصر أهم هذه الآثار مما وردت (النار) في الآيات الذاكرة لها دالاً عليها.

أ_ الخزي: وهو ما ورد على لسان من عرف ربه وعرفه عقابه وما في نار الآخرة من آثار، وهؤلاء هم ((الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار)) آل عمران/ ١٩١-١٩٢، فهذه النار التي يسأل هؤلاء ربهم أن يقيهم عذابها تورث الخزي لمن يدخله فيها، وهذا (الخزي إنما هو هتك المخزي وفضيحته، ومن عاقبه الله على ذنوبه فقد فضحه)[٥٣] وهذا الخزي نفسه ذكر في موضع آخر من الذكر الحكيم موصوفاً بالعظيم ، فقد قال تعالى: ((ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم)) التوبة/٦٣؛ أي (الهوان الشديد)[٥٤] . أعاذنا الله من ذله ..

ب_ الذل: وهو معنى غير مصرح به .لفظا .في آيات ذكر النار في الآخرة، لكن دلالة النار على الإذلال يوم الآخرة دلالة قوية ، وهذا ما يمكن أن يستدل عليه من عدد من الآيات المباركة من أهمها:

. قوله تعالى: ((النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)) غافر/٤٦ ، فآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً إذلالاً لهم ، وقد أشارت التفاسير إلى أن هذا العرض يتم في حياة البرزخ . ومرحلة البرزخ من مراحل الآخرة .[٥٥] فيكون أثره الإذلال أكبر وأكثر وضوحاً لدوامه وقتاً طويلاً يرونها فيه مراراً فيذلون بمعرفة مصيرهم من الخزي الذي سينالهم من دخولها بعد عز الربوبية التي زعموها وعاشوا فيها في الدنيا، فكلما مر عليهم غدوٌّ أو عشيٌّ يعرضون على النار ،فإن معنى قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) (أي دائماً إلى القيامة أو في الوقتيين، وفيما بينهما، بغيره أو فترة ، ويدل على عذاب القبر بشهادة (ويوم تقوم الساعة) أي هذا قبل قيامها، فإذا قامت يقل لهم (ادخلوا آل) يا آل (فرعون أشد العذاب) جهنم)[٥٦] وإذا كانت النار قد تركت آثر الذل على آل فرعون وأذلتهم في القبر، فإنها تذل الكافرين كذلك وتترك هذا الأثر عليهم يوم القيامة حينما يعرضون عليها، وهذا ما نص عليه قوله تعالى: ((ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون)) الأحقاف/٢٠، فيعرض هؤلاء على النار يوم القيامة وتعرض هي عليهم قبل أن يدخلوها ليروا أهوالها وبعد أن يوبَّخوا على نسيانهم الله وانغماسهم في شهواتهم وملذاتهم يدخلون النار فيجزون عذاب الهون أي العذاب الذي فيه الذل والخزي والهوان[٥٧] وكأنهم يذلون برؤية النار قبل دخولها، ثم يذلون بعد دخولها ، فالذل الأول ناتج عن التخويف بها ، أما الثاني فناتج عن التعذيب فيها وذلك ((يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر)) القمر/٤٨ ، ولا أجد إذلالاً أشد من هذا السحب على الوجوه في النار مع الإهانة والتوبيخ يقول الملائكة: ذوقوا مس سقر التي يكاد إذلالها يتجاوز الكلمات

على المصحف ، ويطال القارئ ولاسيما من كان من المخطئين في دنياه جنبنا الله هذا الإذلال بعزه ..

جـ_الخيال: وبه نختم آثارها وبحثنا، وهو أثر النار في نفس من سيراها يوم القيامة من المجرمين ، وهذا ما نجده في قوله تعالى((ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً)) الكهف/٥٣، وهذا الأثر ناتج عن هول ما يراه هؤلاء المجرمون من نار متصفة بما سبق ذكره من صفاتها ، ومختصة بما سبق ذكره من خواصها ، فيهولهم المنظر، ويفزعهم المرأى ، ولما كانوا يعلمون بدخولهم فيها [٥٨] فإنهم سيتخيلون أنفسهم فيها. وهم خارجها . لشدة ما يرونه منها، فقد (قيل: رأوها من مكان بعيد فتوهموا أنهم مواقعوها وظنوا أنها تأخذهم في الحال)[٥٩] بل إنها تترك فيهم أثراً يوصلهم إلى تخيل ما هو أبعد من هذا وأشد فـ(إن المعنى أن هؤلاء الكفار يرون النار من مكان بعيد فيظنون أنهم مواقعوها في تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها)[٦٠].

الخاتمـــــة

بعد أن تصفحنا أوراق النار المحرقة في الدنيا والآخرة نختم بحثنا فيها بورقة أخيرة نلخص فيها أهم ما بحثناه:

ـ (النـار) لفظـة عربيـة معروفـة عنـد العـرب، وهـي تـدل علـى النـار المعروفـة باستعمالاتها، المجهولة بتفسيراتها ، وكثرت استعمالاتهم للنار ، ففضلاً عن النار التي يطبخون بها، ويستدفئون ، ويستنيرون ؛ كانت عندهم نيران أخرى مثل نار الحرب ، ونار الاستمطار، ونار القرى ، ووردت في مواضع كثيرة من أشعارهم.

. (النار) لغة : مشتقة من الأصل (نور) وجمعها نيران وأنور.

. (النار) في القرآن الكريم وردت في أكثر من (١٥٠) مرة بلفظها وبمثلها وأكثر وردت مرادفاتها وأهمها: جهنم ، والسعير ، وسقر.

. (النار) في كتب الوجوه والنظائر القرآنية أشير إلى ثلاثة دلالات لها هي: الإحراق، والنور، والمثل.

. (النار) استعملت في القرآن الكريم بنوعين متميزين : النار في الدنيا، والنار في الآخرة.

. (النار) في الدنيا وردت في آيات عدة وكانت لها معانٍ أهمها: الإحراق، والمنفعة، وهما المعنيان الحقيقيان للنار، ووردت بمعانٍ مجازية تمثلت بالإشارة إلى أنها أصل الخلق للجان، ووردت وهي رمز فكري في مثل أو عقيدة.

ـ (النار) في الآخرة وردت في عدد كبير من الآيات القرآنية وجاءت دلالاتها في محاور أربعة هي:

- وظائفها: وهي الاتقاد بما يلقى فيها ومن يلقى ، والتحطيم لهم والتهشيم ، ثم صليهم بلهيبها وتعذيبهم بكل هذا.
- صفاتها: وهي المستويات التي انتظمت بطبقاتها، وإحاطتها بمن يلقى فيها ، ثم إنها تقطع ثياباً لهم ، كما أنهم قد يأكلونها في بطونهم.
- خواصها: وهي قدرتها على اختراق كل ما يواجهها، كما أنها تتكلم وتطلب المزيد بمزية الغضب والفوران.
- آثارها: وهي كثيرة ؛ أبرزها : الخزي الذي تورثه ، والذل الذي يقع على مستحقيها الذين يتخيلون أنفسهم فيها ويتخيلونها تحرقهم . وهم خارجها . من هول ما يرونه منها.

ـ (النار) لفظة لها الكثير من المعاني التي تفيدها بدلالاتها الكثيرة والمتنوعة ، بيد أن الباحثين عنوا أكثر ما عنوا بدلالتها على الإحراق أكثر من دلالاتها الأخرى.

ـ (النار) في الدنيا مظلومة دلالياً لأنها . بحسب علمي . لم تجد من أشار إلى دلالاتها وفصل القول فيها.

. (النار) في الآخرة أيضا شغل الباحثون بلهيبها عن دلالاتها الأخرى وما فيها.

. (النار) في الدنيا تشبه (النار) في الآخرة ؛ فهي منها .

. (النار) في الآخرة تمتاز عن (النار) في الدنيا بما فيها من عظيم الصفات والقدرات.

المصادر

١؟القرآن الكريم

٢.الأشباه والنظائر في القرآن الكريم. مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ). تح: عبد الله محمود شحاته . القاهرة .١٩٧٥.

٣.الأمثال في القرآن الكريم. جعفر سبحاني. قم ١٤٢٠هـ.ق.

٤.الأمثال في القرآن الكريم . د. محمد جابر الفياض. بغداد .١٩٨٨.

٥.الأوائل .أبو هلال العسكري(ت ٣٩٥هـ). المغرب .١٩٦٦.

٦.التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم. عودة خليل أبو عودة. الأردن. .١٩٨٥

٧.التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة.د. ابتسام الصفار. النجف .١٩٦٧.

٨.تفسير غريب القرآن. ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تح: السيد أحمد صقر . مصر .١٩٥٨.

٩.تفسير القرآن الكريم.عبد الله شبر. لبنان .١٩٩٩.

١٠.التفسير المعين للواعظين والمتعظين. محمد هويدي. إيران ١٤٢٣هـ.ق.

١١.تفسير القرآن العظيم. ابن كثير (ت٧٧٤هـ) . مصر .١٩٥٦.

١٢.التفسير الكبير. الرازي(ت٦٠٦هـ) . مصر.

١٣.الجامع لأحكام القرآن الكريم.القرطبي (ت ٦٧١هـ) .بيروت.

١٤.الجملة الفعلية ودلالتها في آيات الآخرة. مجيد طارش عبد . رسالة ماجستير. جامعة بغداد ١٩٩٧.

١٥.ديوان زهير بن أبي سلمى. بيروت .١٩٦٤.

١٦.ديوان السموأل. تح محمد حسن آل ياسين. بغداد .١٩٥٥.

١٧.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. الآلوسي (ت١٢٧٠هـ). مصر.

١٨.الصورة الفنية في المثل القرآني.د. محمد حسين الصغير بغداد .١٩٨١
١٩.الفكر الديني القديم . تقي الدباغ. بغداد .١٩٩٢
٢٠.الكافي. الكليني(ت ٣٢٩هـ). طهران ١٣٦٥هـ.ق.
٢١.الكشاف. الزمخشري (ت ٥٣٨هـ). بيروت.
٢٢.لسان العرب.ابن منظور . بيروت .
٢٣. مجمع البيان في تفسير القرآن. الطبرسي (القرن السادس الهجري). بيروت.
٢٤.مختصر تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي. كمال مصطفى شاكر .مؤسسة إيران.١٤٢٤ هـ.ق.
٢٥.نهج البلاغة. تح: د. صبحي الصالح. بيروت .١٩٦٧
٢٦. النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين. السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) تح: علاء الدين الأعلمي. بيروت ٢٠٠٢م.
٢٧.وجوه قرآن. التفليسي (ت٦٢٩ هـ) تح: مهدي محقق. طهران.
٢٨. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم. هارون بن موسى.تح: د. حاتم صالح الضامن بغداد ١٩٨٨م.

الهوامش

١- الفكر الديني القديم/ تقي الدباغ: ١٨٣
[٢] -الأوائل/ أبو هلال العسكري: ٢٨.
[٣] -ينظر: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم/ عودة خليل أبو عودة: ٤١٦ وما بعدها.
[٤] -ديوان السموأل: ٢٢.
[٥] -ديوان زهير: ٢٧.
[٦] - التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة/ ابتسام الصفار: ٢٠٥.
[٧] - ينظر : لسان العرب/ ابن منظور: (نور).
[٨] - التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن: ٤١٦.
[٩] - ٢٥٦
[١٠] - ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم/ هارون بن موسى :٢٢٩، و:الأشباه والنظائر/ مقاتل بن سليمان: ٢٢٣، و: وجوه قرآن/ التفليسي: ٢٨١.
[١١] - الجاثية/١٣.
[١٢] - ينظر: لسان العرب: (نور).
[١٣] - ينظر: مجمع البيان/ الطبرسي: ٧٥/٧ ، والكافي/ الكليني:٢٣٢.
[١٤] - مختصر تفسير الميزان للطباطبائي / كمال مصطفى شاكر :٣٨٨ .
[١٥] - ينظر: النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين /نعمة الله الجزائري: ٤١٤ وما بعدها.

[١٦] ـ ينظر: مجمع البيان: ٥٩٦/١٠.
[١٧] ـ مجمع البيان: ٥٩٦/١٠.
[١٨] ـ تفسير شبر: ٣٠٣.
[١٩] ـ مجمع البيان: ٢٧٤/٧.
[٢٠] ـ ينظر تفسير شبر: ٣١٢.
[٢١] ـ مختصر تفسير الميزان: ٤٣٩.
[٢٢] ـ ينظر: تفسير شبر: ٣٨٩.
[٢٣] ـ مجمع البيان: ٤٩٩/٤.
[٢٤] ـ تفسير شبر: ٢٦٣.
[٢٥] ـ ينظر: مجمع البيان: ٢٥٦/٩.
[٢٦] ـ ينظر: مختصر تفسير الميزان: ٥٩٣، و: مجمع البيان: ٢٥٦/٩.
[٢٧] ـ تفسير شبر: ٥٣٦، وينظر: مختصر تفسير الميزان: ٥٩٨.
[٢٨] ـ مجمع البيان:٥٦٠/٨ وينظر:مختصر الميزان:٥٩٩.
[٢٩] ـ ينظر: مجمع البيان: ٢٦١/٩.
[٣٠] ـ روح المعاني /الآلوسي: ١٦٨/١، وينظر: الأمثال في القرآن الكريم/ د.محمد جابر الفياض ٢٦٨.
[٣١] _الصورة الفنية في المثل القرآني/ د. محمد حسين الصغير: ٢٩١ وينظر: تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ٥٤/١ ،و: الأمثال في القرآن الكريم/ جعفر سبحاني: ٧٣ وما بعدها.
[٣٢] ـ مجمع البيان: ٦١٣/٢.
[٣٣] ـ مختصر تفسير الميزان: ٨٣.
[٣٤] ـ ينظر: مجمع البيان: ٦٩٢/٢.
[٣٥] ـ مجمع البيان: ٦٩٢/٢.
[٣٦] ـ صحيح البخاري: ١٤٢/١.
[٣٧] ـ ينظر:التفسير المعين/محمد هويدي:٥٨٦.
[٣٨] ـ نهج البلاغة:٣٠٣.
[٣٩] ـالمصدر نفسه:١٦٢.
[٤٠] ـمختصر تفسير الميزان:١١_١٢.
[٤١] ـ مجمع البيان : ١٠/ ٦٨٨.
[٤٢] ـ مجمع البيان: ١ـ/٦٨٨.
[٤٣] ـ م ينظر: تفسير شبر: ١٩٢.
[٤٤] ـ جمع البيان: ١٩٣/٩.
[٤٥] ـ مجمع البيان: ١٦٣/٣.
[٤٦] ـ تفسير شبر: ٢٩٧.
[٤٧] ـ مختصر تفسير الميزان: ٦٦٦.
[٤٨] ـ مجمع البيان: ١٠٥/٧.
[٤٩] ـ مختصر تفسير الميزان: ١٠١.
[٥٠] ـ مجمع البيان: ١٨٧/٩.
[٥١] ـ الكشاف/ الزمخشري: ٦١١/٤ وينظر: التفسير الكبير /الرازي: ١٢٨/٣، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: ٢٨٧/١٨.
[٥٢] ـ ينظر تفسير شبر: ٥٦٢.

[٥٣]- مجمع البيان: ٧٠٠/٢.
[٥٤] - مختصر تفسير الميزان: ٢٤٠.
[٥٥] - ينظر: الجملة الفعلية ودلالتها في آيات الآخرة/ مجيد طارش عبد: ٣١ وما بعدها..
[٥٦] - تفسير شبر: ٤٧٢.
[٥٧] - ينظر: مجمع البيان: ١١٣/٩-١١٤ .
[٥٨] - فسير غريب القرآن/ ابن قتيبة: ٢٦٩.
[٥٩] - الجامع لأحكام القرآن: ٤/١١.
[٦٠] - التفسير الكبير/ الرازي: ١٣٩/٢١.